الأنـــا والآخـــر

دراسة تحليلية لتكوين مفهوم الأنا والآخر لدى
طفل الروضة ودور المربية في ذلك

- توطئة.
- الأهداف التي سعت إليها الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- مسوغات الدراسة:
  - أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة.
  - ثانياً: نشأة مفهوم الذات وتطوره.
  - ثالثاً: الطبيعة الاجتماعية للذات.
  - رابعاً: سمات مفهوم الذات.
- مفهوم الذات ودوره في تحقيق الذات وموقعه في هرم الحاجات الإنسانية.
- سبل بناء مفهوم إيجابي للذات لدى طفل الروضة.
- كيفية تقبل الذات.
- تقبل الآخر وعلاقته بالثقافات المتنوعة.
- مقترحات يمكن أن تفيد منها المربية.
- كلمة أخيرة.
- المراجع المعتمدة.
- ملخص الدراسة باللغة الإنكليزية.

توطئة

ينظر الواحد منا لنفسه، من خلال إدراكات مختلفة، فنحن ننظر لأنفسنا كرجال أو نساء، أو كمربين، أو كطلاب، أو كسوريين، أو كأذكياء، أو باعتبارنا نحيفي الأجسام، أو عريضي المناكب، سمراً أو بيضاً، طوالاً أو قصاراً فقد عاش ويعيش كل واحد منا مع هذا المفهوم طوال حياته بحيث صار جزءاً من نظم المعتقدات الراسخة لديه والتي يصعب تغييرها، غير أن معتقداتنا نحو ذواتنا ليست قوالب جامدة، بل هي ولحسن الحظ قابلة للتغيير لذا فإن الفرد يشكل مفهومه لذاته من خلال الخبرات الحياتية التي يمر بها، وبخاصة من خلال التفاعل مع الأشخاص الذين يعيش معهم.

وإذا كان مفهوم الذات يعد من المفاهيم الجديدة نسبياً في علم النفس، إلا إن الحديث عن الذات أو النفس حديث قديم، ترجع جذوره إلى الحضارات اليونانية القديمة.

« إن إشكالية الأنا بالنسبة لديكارت، هي أولاً وقبل كل شيء وعي الذات، ومن هنا تبرز إشكالية أصل فكرة الأنا، ليس من منظور تجريدي معرفي، بل منظور سيكولوجي، إن الإنسان عندما يستطيع أن يملك تصوراً للأنا الخاص به، فإن هذا التصور يرتقي به إلى ما فوق الكائنات الأخرى التي تعيش على الأرض، أي أنه مخلوق يتميز من حيث مكانته وكرامته عن الأشياء من حوله، وعن الحيوانات غير العاقلة التي يمكنه التعامل معها والتحكم بها كما يشاء » (ايفور كون، ١٩٩٢، ٢٠).

ومفهوم الذات من الموضوعات المهمة في التراث العربي الإسلامي، فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت الذات أو النفس، قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (السورة ٥١، الذاريات، الآية ٢١) ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها ﴾ (السورة ٤١، فصلت، الآية ٤٦).

وفي الحديث الشريف: « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني » (مسند الإمام أحمد ١٧١٢٣ والترمذي ٢٤٥٩، وابن ماجه ٤٢٦٠).

وذكر في إحدى رسائل إخوان الصفا أفكار مهمة تتصل بالذات اتصالاً مباشراً، « اعلم يا أخي: ــ أيدك الله وإيانا بروح منه ــ أن لب العلوم الشريفة، معرفة الإنسان نفسه، لأنه قبيح بكل عالم يتعاطى الحكمة، أن يدعي معرفة الأشياء وهو لا يعرف نفسه، ويجهل حقيقة ذاته ... ثم اعرف أن الإنسان لا يمكن أن يعرف نفسه على حقيقتها إلا أن ينظر ويبحث وذلك من جهات ثلاث: إحداها الجسد مجرداً عن النفس، والثانية النفس مجردة عن الجسد، والثالثة الجملة المجموعة من النفس والجسد » (زهران، ١٩٧٧، ٣٠١).

هذا « وتتكون الذات بواسطة الأنا (EGO) ، والأنا هو ذلك الجزء من الشخصية النظام النفسي ــ الذي يتصل بالعالم الخارجي، وهو مسؤول عن تنظيم السلوك وضبط الانفعالات لأنه رزين عاقل »(فهمي، ١٩٩٧، ٨٠).

الأهداف التي تسعى إليها هذه الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف عديدة أهمها:

ــ تحديد معنى الأنا أو الذات.

ــ تحديد معنى الآخر.

ــ تحديد ماهية العلاقة بين مفهوم الأنا « الذات » ومفهوم الآخر.

ــ تحديد دور المربية في الروضة في تقبل الطفل لذاته وتقبله للآخر.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

ــ الكشف عن الأنا (الذات) وتحديد مكانتها بالنسبة للإنسان عموماً وللطفل على وجه الخصوص.

ــ إطلاع المربية في الروضة على الدور المنوط بها فيما يتعلق ببناء مفهوم الذات لدى الطفل في هذه المرحلة.

مسوغات الدراسة:

إن انهيار الأنا واضطرابها يمكن أن يؤدي إلى إصابة الشخصية كلياً أو جزئياً بالأمراض والاضطرابات النفسية، ومن هنا كان لا بد من التأسيس الجيد لهذا المفهوم، والعمل على اكتشافه وفهمه من قبل الطفل بشكل مبكر.

إضافة إلى نقص الاهتمام بمفهوم الأنا أو الذات، وكيفية بنائه وتحصينه في المؤسسات التربوية المعنية بالطفل في هذه المرحلة.

أولاً: التعريف بالمصطلحات:

إن كلمة « أنا » ضمير شخصي للمتكلم المفرد، واللغويون يصفون الضمائر بأنها كلمات تستخدم كبدائل للأسماء، فالضمير أنا، يعني ضمير المتكلم، وأنت ضمير المخاطب، وهما يتميزان بشكل واضح عن ضمائر الشخص الثالث، أي ضمير المفرد الغائب ... إن أنا تعني دائماً الفرد القائم بذاته، المرتبط بالنفس أو الحامل المادي للنشاط الذي يقوم به الفرد في أثناء تعامله مع شخص آخر، أي مع أنت أو هو أو هم (ايفوركون، ١٩٩٢، ١٠ — ١١).

* **مفهوم الأنا :(ego)** « الذات وبخاصة مفهوم الفرد عن نفسه » وفي التحليل النفسي « تعني الأنا القسم السطحي من الهي، النفس أو النفس البدائية الطفولية التي تنجم عن الهي استجابة لمثيرات بيئة الطفل العضوية والمحيطية» (عاقل، ١٩٨٨، ١٢٠).

* **مفهوم الذات :(self)** الذات هي الفرد بوصفة كائناً واعياً (م.س)[1]

« وتستخدم الذات عادة بمعنى الشخصية أو الأنا » (رزوق، ١٩٧٧، ١٣٨.)

إن إشكالية الذات هي إحدى جوانب السؤال المتعلق بجوهر الإنسان، لكنها من حيث المبدأ تعالج الكثير من المسائل، ويقصد بذلك خاصية النوع الإنساني واختلافه عن الحيوان.

لقد سبق وتمت الإشارة إلى أن الذات من صنع الأنا، لا بل إن الذات هي الأنا كما ورد في قواميس علم النفس أعلاه. والذات في علم النفس هي: الشعور والوعي بكينونة الفرد، وتتكون بنية الذات كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم والخبرة.

تعريف الباحثة:

الذات مفهوم مركب ينطوي على مكونات عديدة، نفسية معرفية وجدانية اجتماعية وأخلاقية ... تعمل متناغمة متكاملة فيما بينها ويساير هذا المفهوم في نموه وتطوره المراحل

---

[1] (م.س) تعني المرجع السابق.

النمائية ويبدأ في التكوين منذ السنة الأولى من عمر الطفل ثم يرتقي تدريجياً بفعل عمليات النضج والخبرة والتعلم والتنشئة الاجتماعية.

والذات الكل تنطوي على ذوات فرعية هي:

ـ **الذات المدركة أو الحقيقية كما أسمتها (هورني :PERCEIVED SELF)** أي فكرة المرء عن نفسه، وتشمل المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما يتصورها الشخص ذاته.

ـ **الذات الاجتماعية :SOCIAL SELF** وتشمل فكرة الآخرين عن الشخص، أي الصور التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها عنه.

ـ **الذات المثالية :IDEAL SELF** أي ما يتمنى المرء أن يكون، وهي تتحدد من خلال الصور المثالية التي يتمنى المرء أن يكون عليها (فهمي، ١٩٧٩، ٨١) وعلى ذلك يمكن تعريف مفهوم الذات بأنه: تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية، والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد، ومن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية (زهران، ١٩٧٧، ٢٥٨).

وعلى الرغم من أن مفهوم الذات ثابت إلى حد كبير، حسبما يرى روجرز صاحب نظرية الذاتSELF THEORY ، إلا أنه يمكن تعديله عن طريق العلاج النفسي المتمركز حول العميل أو المفحوصCLINT – CENTRED THERAPY ، الذي يرى بأن أحسن طريقة لإحداث التغير في السلوك، تكون أن يحدث التغير في مفهوم الذات (م.س).

ثانياً: نشأة مفهوم الذات وتطوره في الطفولة المبكرة:

إن الطفل حديث الولادة لا توجد لديه فكرة عن نفسه ككينونة متميزة عن عالمه الخارجي، وعن الأشياء المحيطة به، ويرى جان بياجيه « أن المواليد في الأشهر القليلة الأولى غير قادرين على التمييز بين أنفسهم أو ذواتهم، وأفعالهم والأشياء المحيطة بهم والتي يمكن أن يستخدموها في أفعالهم » .... لكنه يرى أيضاً أن مفاهيم الذات تسبق في الظهور والتكون مفهوم الآخر أو الآخرين (بهادر، ١٩٨٦، ١٦٦).

وقد استخدم بياجيه كلمة مفاهيم وليس (مفهوم) لأن الذات تتغير من مرحلة إلى أخرى، وبذلك يصبح الحديث عن ذوات وليس عن ذات واحدة، أو عن مفاهيم وليس عن مفـــهوم واحد للذات.

ويعد اسم الطفل من بين أهم العوامل التي تساعده على معرفة أناه أو ذاته كجوهـــر مستقل ووجـــود مثمر، وفي حال إدراك الطفل لذاته كشيء مستقل يســتطيع أن يـــدرك معنى اتجاهات والديـــه نحو بواعثه وحاجاته الفيزيولوجية.

وعلى أية حال، فإن الطفل يبدأ في تكوين فكرة عن ذاته خلال السنة الأولى من حياتـــه، ويكتشف معاني عن جسده من خلال تناول الأجزاء المختلفة منه، أو الإمساك بها ومن خـلال النظر في المرآة أيضاً.(AMES, 1952)

إن المفاهيم التي يكونها الطفل بصفة عامة ذات تأثير كبير في نموه، غير أن النمط الأكـــثر تأثيراً منها، هو ذلك الذي يتصل بتفكيره كفرد، أي بذاته المستقلة.

ومن ناحية أخرى « يستطيع الطفل بدءاً من عامه الأول أن يميز الأشخاص الآخريـــن، وذلك من خلال نغمة أو نبرة أصواتهم، وتعبيرات وجوههم » (م.س).

هذا، وتعد الابتسامة من بين الاستجابات الاجتماعية الهامة لدى الطفل، ومن هنا، فقـــد نالت اهتمام العديد من الباحثين والدارسين في هذه المرحلة مثل (ســـالدن ١٩٦٣، شـــيرلي ١٩٣٣، سبتروولف ١٩٤٦)، إذ دلت هذه الدراسات أن الابتسامة بشكل عام أو الابتســامة العامة غير المحددة، تظهر لأول مرة لدى الأطفال كاستجابة للصوت أو الوجه الإنساني الآخـر ما بين نهاية الشهر الأول والثالث، وأشارت هذه الدراســـات كذلـــك، إلى أن الابتســامة اللامتمايزة وغير المحددة تتحول كي تكون لشخص محدد دون آخر، في النصف الثاني من العام الأول وهذه مؤشرات تدل على نشوء ما يسمى (بالوعي الذاتي SELF - CONSCIOU SNES) الذي يظهر في نهاية العام الثاني عندما يحاول الطفل أن يخفي ذاته في وجود الغرباء.

ومع تقدم الطفل في النضج والخبرة الاجتماعية، يزداد وضوح مفهوم الذات لديه تدريجيـاً ويشعر أنه شخصاً مستقلاً عن الأشياء الأخرى، وعن الناس الآخرين ويـــتزامن ذلـــك مـــع النشاطات والأفعال أو عمليات المبادأة التي يقوم بها.

ثالثاً: الطبيعة الاجتماعية للذات:

تعد الذات نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي، فنظريات نمو الذات على اختلافها تركز على إدراك الفرد لكيفية رؤية الأفراد الآخرين له، وعلى مقارنة نفسه بالأنماط الاجتماعية الموجودة من حوله.(FLAVELL 1963 p. 96)

وقد أطلق (ميللر MILLER. 1963) على إدراك الفرد لمظهره من خلال جماعة خاصة مصطلح (الهوية الذاتية العامة) فهو يعتقد، أن الفرد يرى نفسه بصورة مميزة في نظر هذه الجماعة التي ينتمي إليها.

ولكن، على الرغم من الطبيعة الاجتماعية للذات، فإن هناك ذاتاً داخلية تكون بمثابة النواة كما ذكر وليم جيمس « وهي أعمق وأقوى وأصدق ذات » وهذه النواة تنمو خارج نطاق العمليات الاجتماعية التعليمية، وبخاصة عمليتا تعلم الدور والتوحد أو التقمص.

وتحتل عملية التوحد أو التقمص مكانة خاصة في فهم نمو الذات، فقد تم التوصل من خلال تحليل هذه العملية، ومعرفة ما تنطوي عليه من مكونات إلى تحديد الأسباب التي توضح مسوغات اختيار الشخص الآخر كمثل أعلى يحتذى به وعندما يتم اختيار المثل الأعلى، فإن الفرد يحاكيه، ويحذو حذوه في السلوك والمشاعر والعواطف.

وعلى ذلك فإن حب الوالدين للطفل وعطفهم عليه، ومشاعرهم الودية نحوه، تكون على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لديه خلال مراحله النمائية المختلفة (flavell. 1963 p.99).

والطفل الذي ينشأ في أسرة تحيطه بالرعاية والحنان والتقبل، تزداد قدراته ومهاراته وإمكاناته وترتقي، ولكن يمكن أن يدرك الطفل نفسه كغبي أو مشاكس أو عاجز من خلال نظرة والديه إليه، ومن خلال التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي يتبعاها معه (م.س)

وهناك بالإضافة إلى الوالدين أشخاص كثر، على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لدى الطفل، مثل المربين والأقران، ورفاق اللعب والأقرباء والجيران، وغيرهم ممن هم في محيطه (الأحمد، ١٩٩٨).

وتؤثر الأدوار الاجتماعية التي يلعبها الفرد منذ طفولته في مفهوم الذات لديه، إذ يتعلم أن يرى نفسه كما يراه رفاقه وأنداده في المواقف الاجتماعية المختلفة.

فقد وجد (كوهن) وآخرون ١٩٦٣ من خلال نتائج الدراسة التي قاموا بها معتمدين اختبار (من أنا(Who AmI) (، أن هذا التصور للذات إنما يتم من خلال الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يلعبها الطفل.

ولقد دلت نتائج الدراسة التي قام بها (كومبس ١٩٦٩)، أن التفاعل الاجتماعي بين الأطفال في الروضة، يلعب دوراً هاماً في تكوين مفهوم الذات لديهم، ولهذا التفاعل أشكالاً مختلفة، منها التفاعل اللفظي والتفاعل من خلال الاحتكاك الجسدي وتبادل الابتسامات، والتفاعل من خلال اللعب والموسيقى والاستحسان المتبادلة مع المربية.

وللمقارنة كذلك، دوراً هاماً في تكوين مفهوم الذات فالطفل منذ نعومة أظفاره ما ينفك يقارن نفسه بالأطفال الآخرين وتبرز المقارنة جلية في سن الروضة، حيث ينظر كل طفل إلى الآخر نظرة متمعنة ثاقبة تشبه نظرات الكبار فهو يريد أن يعرف ما يرتدي رفيقه. وماذا يأكل. وكيف يلعب ويتكلم. وهل تحبه المربية أم لا، ولماذا تحبه؟: أ لأنه نظيف أم جميل، أم ذكي أم ماذا .... وعلى ذلك، يحاول أن يجري مقارنات مستمرة بينه وبين قرينه، لماذا ابتسمت له المربية ولم تبتسم لي، لم ربتت على كتفه، ولم تربت على كتفي ... وهكذا تستمر المقارنات طوال اليوم ولا تتوقف.

وتحسن المربية صنعاً إذا حاولت أن تنصف الأطفال في تعاملها معهم، وتوزع حبها وحنانها وتقديرها على الجميع، قدر الإمكان مع الإشارة إلى السلوك المتميز الذي تفضله بين الحين والآخر.

وهنالك، بالإضافة إلى المؤثرات الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن تؤثر في نمو مفهوم الذات لدى طفل الروضة، مؤثرات هامة أخرى، ومنها صورة الجسم (Body Image) والقدرة العقلية للطفل، فصورة الجسم تتأثر بخصائصه الموضوعية مثل الحجم والطول والقصر، الذكورة والأنوثة، وسرعة الحركة،والتناسق العضلي، واللون، والشعر، «حيث تنمو من خلال هذه الخصائص تصورات الأطفال ومشاعرهم واتجاهاتهم نحو أجسادهم والعديد من هذه الصور لا شعوري وهي تمثل آثار التفاعل المتبادل للطفل مع العالم الخارجي ».

وقد أظهرت الدراسة التي قام بها كل من جورارد وسيكورد (jourard and secord) عام ١٩٥٥ « أن الحجم الكبير بالنسبة للذكور مثلاً يساعـد على الرضى عن الـذات، بينمـا يحقـق الحجم الصغير للإناث مشاعـر الرضى والراحـة» (نادر، ١٩٨٦، ٢٩).

لقد كانت دراسة صورة الجسم إحدى السبل الهامة لفهم الأطفال العصابيين والمرضـى النفسيين ومن هنا فهي تستحق اهتماماً كبيراً من قبل المشتغلين والدارسين في علـم النفـس الاكلينكي وتحتاج من قبل هؤلاء إلى دراسات معمقة خاصة بها، غير أن هذه الدراسة لا تنحو هذا المنحى، وإنما تتناول الذات بمعناه الكلي الشامل، من وجهة نظر نمائية نفسية تربوية فقط.

إن علاقات الطفل مع الأفراد المهمين في حياته وبخاصة والدته تتمثل كجزء من صـورة الجسم، وهذا يؤكد مرة أخرى، أن مفهوم الذات ينمو من خلال الأدوار التي يلعبها الطفـل مـع الآخرين ومن خلال تفسيره لأدوارهم أيضاً.

ويعد الجنس (الذكورة والأنوثة) عاملاً إضافياً مهماً وذا دلالة بالنسبة لنمو الذات وقـد ورد سؤال (هل أنت ولد أم بنت) في معظم اختبارات الذكاء القديمة المخصصة لسن السنوات الثلاث الأولى.

ولكن على الرغم من أن المعارف والمشاعر الأساسية وأنماط الأفعال المتصلة بالجنس تبـدأ في الظهور لدى الطفل في مرحلة سني المهد، وتتضح أكثر في الطفولة المبكـرة، إلا أن تعلـم الدور الجنسي أو المهمات النمائية الخاصة بالجنس يحدث في معظمه متـأخراً عـن هـذه المرحلـة أي في نهايات سني الروضة.(Ames 1964 p. 101)

وإذا كان إشباع حاجات الأطفال من الحب والحنان داخل الأسرة، ومن الأم خاصـة، يلعب دوراً كبيراً في تكوين ذواتهم، فإن الحرمان من هذه الحاجات يلعب الدور المعـاكس، إذ يتميز الطفل المحروم بنقص مفهوم الذات لديه بتدني هذا المفهوم وربما لا يدرك أنه شـخصاً أو حتى أن له اسماً يميزه عن الآخرين ولذلك نجد أن البرامج المخصصة للأطفال المحرومين تؤكـد بالدرجة الأولى على ضرورة تعلمهم مفهوم الذات، نظراً لأهمية هذا المفهوم في تعزيز ثقتـهم بأنفسهم، وفي تحقيق ذواتهم وتوكيدها.

هذا، ويستخدم المربون العديد من الطرائق لمساعدة هؤلاء الأطفال، مثل وضع مرايا ذات طول كامل، في أماكن يستطيع الأطفال فيها أن يروا أنفسهم، والتقاط صور فوتوغرافية لهم، واطلاعهم عليها، ومناقشتهم فيها، وتضمين أسمائهم في الأناشيد والألعاب وغيرها من الأنشطة التي يقومون بها.

ومن هنا، نستطيع أن نؤكد أن احترام المربية للأطفال في الروضة، وتقديرها لأعمالهم وإنجازاتهم الناجحة، ومنحها لهم الحب والحنان، أمور في غاية الأهمية، وهي تسهم إسهاماً كبيراً في نمو مفهوم الذات الإيجابي لديهم.

رابعاً: سمات مفهوم الذات:

يتسم مفهوم الذات بسمات عديدة أهمها أنه:

1 ــ هرمي بنائي:

يتشكل مفهوم الذات لدى الطفل من خلال الخبرات التي يمر بها في صغره، فالطفل الذي يتكون لديه مفهوم إيجابي نحو ذاته في مهارة العزف على آلة موسيقية مثلاً يكون قد مرّ بخبرات عززت لديه هذه المهارة منذ نعومة أظفاره، سواء في منزله أو في الروضة التي يذهب إليها في طفولته المبكرة، ومن ثم في المدرسة، وإن لم تتوافر له مثل هذه الخبرات المعززة يتوقع أن يتكون لديه مفهوم سلبي نحو الموسيقى على الأغلب. والأمر ذاته ينطبق على المهارات والمفاهيم الأخرى، اللغوية والرياضية، والأخلاقية، والاجتماعية وسواها....

وينمو مفهوم الذات بالتدريج مسايراً المراحل النمائية والخبرات التي تحدث فيها وهكذا يأخذ شكلاً هرمياً تتكون قاعدته في الطفولة المبكرة، وتبنى القواعد الأخرى في المراحل اللاحقة، وقد يستمر هذا البناء بالسيرورة والارتقاء مدى الحياة.

عندما يأتي الطفل إلى الروضة في السنة الثالثة من عمره، يكون قد كون مفهوماً ما لذاته، وإن كان هذا المفهوم غائماً وغير محدد وذلك من خلال تفاعله مع أفراد الأسرة، ومع الأغراب والجيران والأقرباء من حوله، وإذا ما قامت المربية التي سبق أن خبرت الأطفال وتعاملت معهم، بإلقاء نظرة عامة على الأطفال الوافدين إلى الروضة لأول مرة فإنها ستجد

أمامها « شخصيات متميزة » ومفهومات متباينة لفكرة أولئك الأطفال عن ذواقم قبل أن تضع الروضة بصماقا عليهم. (خطاب، ١٩٨٦، ١٣).

غير أن الأمر المهم ههنا، هو أن مفهوم الذات قابل للتطوير والتغيير والتعديل وبذلك يمكن للروضة أن تلعب دوراً هاماً في تشكيل هذا المفهوم وتعديله، وذلك من خلال الخبرات والأنشطة اللعبية والموسيقية وسواها، ومن خلال الاحتكاك والتفاعل مع المربية والأقران.

وإذا صح أن سمة ثبات مفهوم الذات تبدأ تتكون في الأسرة من خلال التفاعل مع الأهل، ومن خلال التنشئة التي يتلقاها، فإنه من الصحيح كذلك أن سمة الثبات هذه نسبية وليست مطلقة لحسن الحظ وهذه السمة تعطي فرصة كبيرة للمربية كي تتدخل في الوقت المناسب وتغير وتطور ما بوسعها من خصائص وسمات ذاتية لدى الأطفال المُشْكِلِين الذين كونوا مفاهيم سلبية عن ذواقم.

٢ ــ مفهوم الذات تقويمي:

يتسم مفهوم الذات كذلك بأنه يخضع للتقويم التكويني أو البنائي المستمر، فالذات الاجتماعية لدى الطفل تتأثر بالأقران والأشخاص المهمين في حياته، وتعد المربية في الروضة من بين أهم الأشخاص الذين يمكن أن يؤثروا في الأطفال سواء كان بطريقة مباشرة، ومن خلال التغذية الراجعة الفورية التي تقدمها للأطفال لتعزز عن طريقها سلوكاقم الصحيحة وتصحح الخاطئة منها، أو بطريقة غير مباشرة من خلال اقتداء الأطفال بسلوكها وطرائقها وتعبيراقا المختلفة اللفظية أو غير اللفظية، وهكذا يتم تقويم الطفل لذاته بشكل مستمر، الأمر الذي يساعد على تطوير هذا المفهوم ووضوحه وارتقائه باستمرار.

مفهوم الذات ودوره في تحقيق الذات وموقعه في هرم الحاجات الإنسانية:

إن بناء مفهوم إيجابي للذات يضمن للفرد صحة نفسية جيدة، ويساعده على استثمار إمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ويشعره بالثقة والأمن والاطمئنان ويمكنه من احترام ذاته وتقديرها ومن ثم تحقيقها.

ويعتبر (ماسلو) مفهوم تحقيق الذات واحد من الحاجات الهامة للصغار والكبار وقد وضعه في هرمه ليصف من خلاله الحاجة الإنسانية العليا التي يسعى الشخص السوي والذي يتمتع بصحة نفسية جيدة إلى تحقيقها بعد أن يكون قد أشبع حاجاته الجسدية الأساسية.

ويرى ماسلو، بأن مفهوم تحقيق الذات يعني « الرغبة في أن يكون الفرد هو ذاته أكثر فأكثر وذلك إلى أقصى درجة تتيحها له إمكاناته.(Maslo, 1870 p. 81)

إن انفتاح الطفل على العالم من حوله يوفر له خبرات كثيرة، ويكسبه معارف ومعلومات غزيرة ويعلمه السلوك الناضج الذي يساعده على تكوين مفهوم إيجابي لذاته وعلى مزيد من تحقيق ذاته.

أما موقع مفهوم تحقيق الذات في هرم الحاجات الإنسانية الذي وضعه ماسلو، فيأتي في المرتبة الخامسة أي تسبقه الحاجات الجسدية، تليها الحاجات الأمنية، ثم الحاجة إلى الإنتماء، والحاجة إلى اعتبار الذات وتقديرها، ومن ثم الحاجة إلى تحقيق الذات (انظر الشكل).

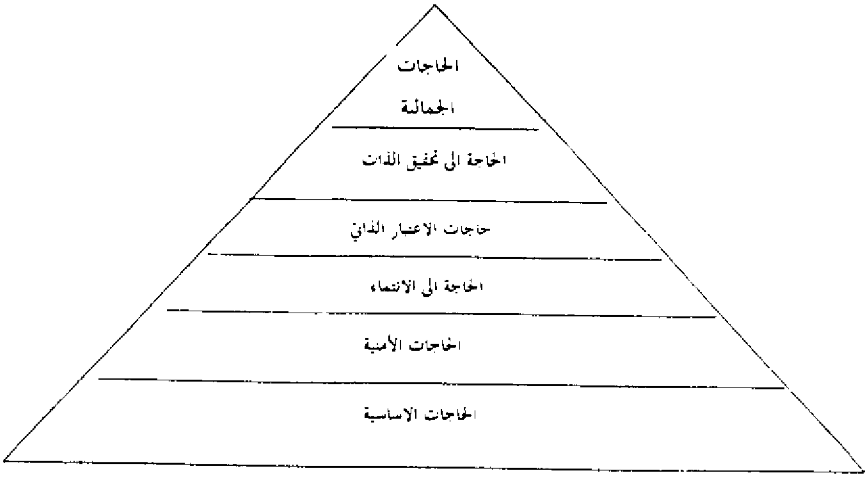

« هرم ماسلو للحاجات »

ويعتقد ماسلو أن فئة قليلة من الناس هي التي يمكن أن تصل إلى تحقيق هذه الحاجة الهامة، ويرى أن الحاجات الثلاثة الأولى في هرمه هي حاجات للبقاء أو الاستمرار في الحياة بينما تعد الحاجات التي تلي ذلك خاصة بكينونة الفرد وذاته، وتحقق له أقصى ما يمكن أن يصبو إليه باعتباره إنساناً سوياً خيراً، يتبادل العطاء مع الآخرين (م.س).

إنه لمن المؤكد، أن فهم المربية في الروضة لهذه الحاجات وتسلسلها، وعلاقاتها المتداخلة وإمكانية تغيير مواقعها في هذا الهرم من ظرف لآخر، ومن طفل لآخر، يساعدها في فهم حاجات الأطفال ومشكلاتهم النفسية التي يمكن أن تكون ناجمة عن عدم إشباع هذه الحاجات أو بعضها، والتي يمكن أن تؤثر سلبياً في تكوين مفهوم الذات لديهم.

سبل بناء مفهوم إيجابي لدى طفل الروضة:

تنتقل مشاعر الأطفال معهم إلى الروضة وتصاحبهم أينما ذهبوا، بكل ما تنطوي عليه هذه المشاعر من مخاوف وقلق، أو مباهج ومسرات أو حب وكراهية نحو أنفسهم وأقرانهم، ونحو آبائهم، والطفل قلما يعبر عن مشاعره بطريقة لفظية، ولكن الأفعال أصدق من الأقوال كما يقال، ولهذا « فإن أفضل وسيلة للكشف عن مشاعر الأطفال في هذه المرحلة، هي ملاحظة سلوكهم والتفسير الجيد لهذه الملاحظات والسلوكيات والتصرف المناسب حيالها » (Felker 1974 P. 105)

وتستطيع المربية في الروضة أن تسهم إسهاماً جيداً، في بناء مفهوم إيجابي للذات، لدى الأطفال، من خلال معرفتها وتنفيذها الإجراءات التالية:

١ ـ مساعدة الطفل على تقبل ذاته:

يأتي الطفل إلى الروضة محملاً بصورة ذهنية معينة، وتتميز هذه الصورة بأبعاد ثلاثة هي: فكرته عن ذاته، فقد يتصور أنه شخص له كيان قادر على التفاعل والتعلم، له قوة جسمية معينة يرتاح إليها، ولديه قدرة عقلية تمكنه من التفوق والنجاح، وقد يتصور ذاته أنه قليل الشأن، ضعيف القدرات وغير قادر على الإنجاز والنجاح ... ويتعلق البعد الثاني بفكرة الطفل عن نفسه ولكن من خلال علاقته بالناس الآخرين، فقد يتصور أنه شخص محبوب ومرغوب فيه، أو أنه شخص كريه منبوذ وغير محبوب من الآخرين، ولا بد من الإشارة ههنا إلا أن نظرة الناس إليه تشكل أهمية كبيرة بالنسبة له، ويؤثر فيه أيما تأثير لأن صورة كل طفل عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه.

أما البعد الثالث فهو مثالي، يتعلق بنظرة الطفل إلى ذاته كما يجب أن يكون، وهذه الصورة تختلف عن الصورة التي يرى نفسه فيها بالفعل أهو كفؤاً أو غير كفء محبوباً أم

مكروهاً، إذ نجد أن كل طفل يتخيل نفسه في أعماق ذاته وقد حقق كل ما يتمناه أو جـــزءاً غير قليل منه (م.س).

ويكون الطفل متقبلاً لذاته، كلما قل الاختلاف ما بين نظرته الفعلية إلى ذاته وبين نظرته المثالية، إذ تعبر هذه الحالة عن نضج يتناسب مع هذه المرحلة النمائية وعن ثقة كبيرة بـــالنفس وبالآخرين من حوله، ممن يمدون له يد المساعدة والعون عند الحاجة، وعلى رأســـهم والـــداه ومربيته والمربية الخبيرة والمعدة إعداداً جيداً تكون متأهبة دائماً لاستثمار الفرص التي تؤدي إلى دعم الذات لأي طفل وعلى نطاق واسع لتشمل الأطفال جميعهم، إذ عليها أن تنمي لدى كل طفل أساليب للتغلب على الصعوبات والمعوقات التي تنقصه ولا يستطيع السيطرة عليها، وتحول بينه وبين تكوين مفهوم إيجابي عن ذاته، وتتعلق هذه الأساليب بالمتغيرات والمحددات التالية:

أ ــ تقبل الذات يقتضي أولاً معرفة الذات:

إن فهم الذات ومعرفتها وتقبلها عملية تتم بالتدريج، ومع التقدم في العمر، وتحتـــاج إلى مزيد من الوقت والفرص الملائمة، فكل طفل يولد ولديه مكانيزمات (آليات) التوقيت الخاصة به.

إننا نجـــد مثلاً أن بعض الأطفال يسير نموهم وفقاً لتوقيت بطيء، وبعضهم يســـير وفـــقاً لتوقيت سريـــع، وبعضهم الآخر يسير وفـــقاً لتوقيت متذبذب ومضطرب وغير منتظم. والمطلـــوب أن يُسمح أو يُهيأ لكل طفل أن ينمو وفق المعدل أو التوقيت الخاص به (إيلغ، وايمز، ١٩٨٧).

والمربون الذين يراعون السرعات المتباينة لنمو أطفالهم، يمكنـــهم أن يكتشـــفوا طرائـــق متعددة، يمكن لكل طفل أن يشعر بوساطتها بالارتياح للسرعة التي ينمو بهـــا، ولا يجـــوز أن يشعر أي طفل بالعجز لأنه لا يساير رفاقه في سيرورة نموهم ... بشكل حرفي دقيق.

وهناك أمر هام يجب التنبيه إليه منذ البداية، وهو أنه على المربين أن يدركوا طبيعة أنمـــاط نمو الأطفال، وإن بإمكانهم أن يلاحظوا مثلاً أن بعض الأطفال يتفاهمون مع غيرهم بطرائـــــق لفظية، وبعضهم الآخر يحقق ذلك بطرائق غير لفظية، وبأقل ما يمكن من استخدام الكلمـــات المنطوقة. إذ يستعيضون عنها بالإشارات وتعبيرات الوجوه أو العيون التي لا تقل قـــدرة علـــى التعبير من الطرائـــق اللفظية، وربما تتفوق عليها في بعض الأحيان.

إن على المربين أن يتحينوا الفرص التي يمكن للأطفال أن يعبروا فيها عن أنفسهم بطرائقهم الخاصة، « ويمكن أن يتحقق التقاء الأفكار والعقول وتواصلها عن طريق أنشطة عديدة مثل اللعب والرسم والتمثيل والغناء والاستماع والمشاهدة، مثلما يتحقق عن طريق السمع والتواصل اللفظي التقليدي المألوف » (الأحمد، ١٩٩٨).

« ويحتاج الآباء والمربون في بعض الأحيان إلى مزيد من الوقت للنمو والنضج مثل أبنائهم لأن ظروفهم ليست طيبة دائماً ومريحة وهادئة، وهم بحاجة إلى مزيد من الوقت ليتكيفوا مع مسؤولية كونهم آباء ومربيين صالحين وأكفياء، وقد يحتاج الكثيرون منهم إلى تكريس المزيد من الوقت ليصبحوا أكثر تقبلاً لأنفسهم وبالتالي لأطفالهم لأن ما يعكسونه على أطفالهم من أقوال وأفعال سيصبح النواة الحقيقة لما ستكون عليه شخصيات هؤلاء الأطفال في المستقبل » (جيلهام، ١٩٦٤).

ويستطيع المربون أن يساعدوا الطفل في عملية اكتشاف ذاته وفهمها وتقبلها، أو يعيقوا هذه العملية، ففهمهم أو عدم فهمهم لكل ما تقدم، يمكن أن يدعم نمو الشخصية أو يقف عائقاً في طرائق هذا النمو السوي.

ويمكن أن توفر البيئة في الروضة المناخ المناسب للطفل كي يشب وينمو بطريقته الخاصة أو قد تعيقه عن اكتشاف عالمه الخاص به والتوافق معه، وعلى ذلك تقع على المربية مسؤولية كبيرة فيما يختص بفهم خصائص الطفل وحاجاته في هذه المرحلة المبكرة من عمره، وفيما يختص بمسألة توفير الزمن الكافي لكل طفل كي يجد نفسه التي بدأ يبحث عنها من خلال الأسئلة التي يطرحها مثل: من أنا، من أكون، من هو، وما الفرق بيني وبين الآخر، وما علاقتي به، إنها الإشكالية التي تبدأ مع بداية البحث عن الذات.

ب ـ تقبل الذات وعلاقته بالقصور الجسدي:

إن مفهوم الذات الجسدية ينمو قبل غيره من المفهومات الأخرى، وينال قسطاً كبيراً من اهتمامات الأطفال، ويؤثر تأثيراً كبيراً في نظرتهم إلى أنفسهم وإلى أقرانهم، فقد يعاني بعض الأطفال في الروضة من قصور جسدي ما، أو من تشوه ما في وجوههم أو أنوفهم أو أرجلهم أو شفاههم .... الخ، ويؤدي ذلك إلى أن ينظر بعض رفاقهم إليهم نظرة غير مستحبة، وربما يشيروا إليهم بين الحين والآخر، ويعيروهم بهذا النقص، ولا شك أن هذه الاستجابات تسبب

لهم آلاماً نفسية كثيرة، وتشعرهم بالعجز والدونية وانعدام الثقة بالنفس، وتؤدي في الغالب إلى تكوين مفهوم سلبي لديهم عن ذاقم الجسدية، وهذا كله يمكن أن يؤثر تأثيراً سلبياً في أدائهم وسلوكاقم، ويقلل من إنجازاقم الناجحة وربما يحولهم إلى أطفال مُشْكِلِين وعدوانيين.

وهنا، يكون من واجب المربية أن تعلم الأطفال أن يتقبلوا رفاقهم مهما كان شكلهم ومظهرهم « وأن تجعلهم يدركون أن الإنسان يقدر لذاته ولأفعاله الناجحة، أو خصاله الحميدة، أكثر مما يقدر لمظهره الخارجي، وأن يدركوا كذلك أن أشكال الناس ليست متساوية، وأن حيلتنا ضعيفة أمام بعض الأمور التي تخرج عن حدود إرادتنا.(Filker,1974,P.62).

ج ـ تقبل الذات وعلاقته بالبيئة غير المتسامحة:

تعد الثقافة الخاصة (المترلية) التي يولد فيها الطفل من المؤثرات الفعالة التي تعمل على نمو صورته عن ذاته، والبيت أول مصدر لتنمية الصورة في ذهن الطفل، ويليه الروضة من حيث الأهمية، وبوسع هذه الصورة العقلية الأولية بما لها من ذكريات أن تمنحه الثقة بالنفس، والقدرة على مجاهة الآخرين ، إذا كانت مفرحة، أو قد تكون مبعثاً للشك وعدم الثقة والقلق والخجل إذا كانت مؤلمة.

إن الجو المتسامح الذي يعيش فيه الطفل في المترل والروضة والمدرسة يولد لديه خبرات سارة، ويساعده على تقبل ذاته، أما البيئة غير المتسامحة التي تعتمد " العقاب " البدني أو المعنوي أسلوباً وحيداً لتصحيح الأخطاء التي يرتكبها الطفل، فتولد لديه خبرات مؤلمة، وتوجهه نحو العنف والإيذاء والعدوان الموجه إلى الذات أولاً ومن ثم إلى الآخرين، فلا يستطيع أن يتقبل ذاته، ولا الآخرين يتقبلونه، لأنه يدرك أن سلوكاته مكروهة وضارة، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عنها.

والآن، ماذا تفعل المربية إزاء هذا الطفل وأمثاله من الأطفال الذين يفدون من منازل متشددة، وغير متسامحة، مليئة بالمشكلات والمشاحنات، وتعتمد أسلوب العنف مع الأطفال بأشكاله المختلفة، هل تستمر في معاقبة هؤلاء الأطفال أم ماذا؟.

الاتجاهات في هذا الموضوع ربما تكون متباينة، وربما ترى بعض المربيات أن التعامل مع هؤلاء الأطفال صعب جداً، وأن التنظير غير الفعل، ولا بد من العقاب في بعض الأحيان.

إن الاتجاه الحديث الذي بني على نتائج دراسات وأبحاث علمية بالإضافة إلى خبرات ميدانية يشير إلى ميل معظم الدارسين والمربين إلى ضرورة إهمال السلوك الخاطئ واتخاذ موقف اللامبالاة حيال هؤلاء الأطفال، وتعزيز السلوكات الإيجابية التي تبدى عنهم بين الحين والآخر، إلى أن يدركوا أن هذه السلوكات دون سواها هي المطلوبة والمرغوب فيها، وهي التي تنال رضا المربية واستحسانها (الأحمد، ١٩٩٨).

وحقيقة الأمر أن المسألة غاية في الصعوبة، فالأطفال ليسوا نسخا من بعضهم ولا توجد قاعدة واحدة تنطبق عليهم جميعهم، لا بل حتى لا توجد قاعدة أو نمط واحد من المعاملة يصح مع الطفل باستمرار.

المطلوب إذن هو « التنويع في أساليبنا بين التسامح، والتغاضي والإهمال والترك، والعقاب غير المؤذي نفسياً أو جسدياً للسلوكات غير المرغوب فيها في بعض الأحيان التي لا تنفع فيها الأساليب الأخرى، وتعزيز السلوكات الصحيحة والمرغوب فيها، وإن كانت قليلة، لأن كل طفل يكاد يكون حالة خاصة، وما ينطبق على زيد قد لا يصح على عمر » (الأحمد، الأمل، ١٩٩٨) إذن يستحسن تعميم القاعدة الصحيحة على معظم الأطفال، والتنويع مع الحالات التي لا تنطبق عليها القواعد.

د ـ تقبل الذات وعلاقته بالبيئة المجحفة:

بعض الأطفال يأتون إلى الروضة أو المدرسة من أسر ثرية جداً من الناحية المادية وتحتوي بيوتهم على مقتنيات فاخرة ومتميزة غالية الثمن، وبعضهم الآخر يأتي من منازل أقل غنى أو من منازل ربما تكون مجحفة وفقيرة من الناحية المادية.

غير أن الأطفال الأسوياء من جميع البيئات والمستويات، لهم حاجات أساسية لا غنى عنها، إنهم جميعاً بحاجة إلى الحب والحنان والتقدير والاحترام ولديهم جميعهم إمكانات تكوين الشخص المناسب السوي وفرص تحقيق النجاح ومن ثم تحقيق الذات.

والسؤال المطروح هنا، هو كيف تتعامل المربية مع هؤلاء الأطفال وكيف تلبي حاجاتهم؟... إن الإجابة تعتمد إلى حد كبير على مدى تقبلها لهم، ولعالمهم الطبيعي ولظروف معيشتهم، فإذا كانت تنظر إليهم باستهجان واشمئزاز فإن ذلك سينعكس على إحساسها

وشعورها نحوهم، وعلى مبادلتهم إياها هذا الإحساس، أما إذا تقبلتهم على أنهم يستحقون الرعاية والحب وقابلون للتعلم والتطور، فعليها أن تبحث عن الأشياء الجميلة فيهم، وأن تعاملهم بعيداً عن ظروفهم المادية الخاصة وبذلك يمكن أن تزرع بذور اعتبار الذات وتقديرها في نفس كل طفل.

هـ ـ تقبل الآخر:

ترتبط معرفة الذات وتقبلها بمعرفة الآخر وتقبله، فالطفل الذي لديه الثقة بنفسه يثق بالآخرين، ويرغب في الانطلاق نحوهم والانفتاح عليهم يأخذ بيد غيره ويعرفه بذاته وعالمه الخاص، كما يرغب في أن يدع الآخرين يدخلونه إلى عوالمهم، ويعرضون عليه مشاكلهم الخاصة، وبهذه الطريقة تكمل الدورة نفسها ويتحقق التوازن المنشود" (جلهام، ١٩٦٤، ص ٦٣).

وتؤثر حاجات الفرد في إدراكه للآخرين، كما أن تقدير الذات واحترامها يعتمدان جزئياً على الأقل على مدى ما يقره الآخرون ويعترفون به من النجاح الذي يحرزه الفرد، ولكي يشعر الفرد بالقوة من الداخل، ويستغني عن الإشباعات الخارجية يكون أميل لعدم تقبل الأشخاص الذين يعتبرهم عقبة كأداء في طريق نجاحاته وتحقيق ذاته.

ولا شك أن التزمت والتعصب والانغلاق على الذات وغيرها من العوامل الأخرى التي يمكن أن يكتسبها الطفل من البيئة تعيق تقبل الآخرين له، فمثلما يتعلم الأطفال الاحترام والتقبل بإمكانهم أن يتعلموا نقيضهما أي التزمت والتعصب والتحقير. ومن هنا تكون مسؤولية المربين في رياض الأطفال جد كبيرة ودقيقة، وعليهم أن يدركوا أن تقبل الآخر يرتبط بمتغيرات عديدة يجب أخذها بعين الاعتبار أهمها:

و ـ تقبل الآخر وعلاقته بالثقافات المتنوعة (داخل البلد الواحد):

في إطار الثقافة العامة الجامعة للبلد الواحد يمكن أن توجد ثقفات فرعية متباينة بعض الشيء، فهنالك إلى جانب ثقافة أهل المدن، ثقافة أهل الريف، وثقافة أهل البادية وتوجد في بعض الأحيان أقليات قومية إلى جانب القومية الأصلية تقطن في هذا البلد أو ذاك وهكذا يمكن أن تجد عادات وتقاليد، ومعايير وطرائق حياة، ولهجات محلية متفاوتة بعض الشيء،

وعندما يلتقي الأطفال في الروضة بإمكانهم أن يلاحظوا هذا التفاوت بسهولة وعلى المربية أن تتفهم وتستوعب كل الأطفال، بغض النظر عن عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم وانتماءاتهم الثقافية المختلفة.

إن موقف المربية واتجاهاتها العادلة والمتكافئة نحو الأطفال تساعدهم على التفاعل فيما بينهم، وعلى تهيئة أجواء يشعرون فيها بالطمأنينة والتوادد والتحابب.

وعلى أية حال، تظل التربية الواحدة، والثقافة الأساسية الواحدة هي السائدة والمسيطرة، وهي القادرة على توحيد اتجاهات الأطفال وتقاربهم، وهي التي تساعدهم على تجاوز التباينات والانتماءات الثانوية، وصولاً إلى الانتماء الأكبر إلا وهو الانتماء إلى الوطن الواحد والثقافة العامة الواحدة التي ينضوي تحتها ويعمل من أجلها كل الأبناء.

ي ـ تقبل الآخر وعلاقته بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي:

يعمل الناس في مهن مختلفة ومجالات عديدة ويتفاوتون في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، في السكن واللباس، في الغذاء واقتناء الحاجات، وينعكس ذلك على أطفالهم مباشرة... وعندما يذهب هؤلاء الأطفال إلى الروضة أو المدرسة يكون بإمكانهم أن يلاحظوا هذه الأمور، وربما يهتم البعض منهم بالشكل على حساب المضمون.. وهذه الاهتمامات والاتجاهات تنمو في الأسرة أولاً قبل قدومهم إلى الروضة... وربما تجد أن هذه الأمور قد تعززت وترسخت عند الأطفال بشكل أو بآخر، وهنا تكون مهمة المربية أصعب إذ عليها أن تتفهم هي أولاً وتتقبل كل الأطفال بشكل متساوٍ وذلك بغض النظر عن لباسهم ومظهرهم الخارجي، وعليها كذلك أن تنقل هذه الأفكار إلى الأطفال وتعلمهم أن الإنسان يجب أن يعتدّ ويفاخر بذاته وإمكاناته وأخلاقه أكثر مما يفاخر بمظهره الخارجي أو السيارة التي يركبها أو الأشياء الثمينة التي يمكن أن يحضرها معه بين الحين والآخر.

إن هذه الأمور غاية في الأهمية، وعلى المربية أن توليها عنايتها ولا تستهين بها لأنها يمكن أن تترك آثار سلبية كثيرة تؤثر في نفوس الأطفال وفي فهمهم لذواتهم وتقديرهم لها، ويمكن أن تؤثر بالتالي في نجاحاتهم وإنجازاتهم اللاحقة في المستقبل.

وحقيقة الأمر، أنه ليس من السهل أن يتقبل الأطفال بعضهم بعضاً، وفي كل الحالات فعوامل عدم التقبل موجودة سواء إرتبطت بالشكل الخارجي أو باللهجات أو القصور

الجسدي أو العقلي أو اللون. أو حتى رغبة بعض الأطفال في القيادة والسيطرة والاحتواء والتسلط.. أو غير ذلك من الأمور، فقد يشعر الأطفال إزاء هذه المسائل بالتقيد والكف والإثارة الشديدة، ولكن وبغض النظر عن كل هذه السلوكات التي لا تساعد على التقبل فإن هنالك مسألة أساسية يجب أخذها بعين الاعتبار، وهي أن الأطفال غير المتقبلين للآخرين لا يشعرون بالسعادة في أعماق نفوسهم، والسؤال المطروح هنا هو، ما الذي يمكن أن تفعله المربية لمساعدة الأطفال على تقبل الآخرين؟ واقع الأمر أنه لا توجد إجابة وحيدة أو محددة لهذه المسألة الشائكة والمعقدة، لأن تقبل الآخر يتداخل ويتكامل مع تقبل الذات وإن بدا متعارضاً معه لدى البعض، فالطفل يحتاج أن ينظر إلى نفسه في نطاق علاقته بالآخرين والمربون يعلمون من خبراقم أن الأطفال غير المقبولين من الآخرين، يمكن أن يتحولوا ويصبحوا مقبولين جداً بعد أن يغدو أكثر ثقة بأنفسهم، وأكثر قدرة على الإنجاز والعطاء والمشاركة والتفاعل الاجتماعي...

فعملية التقبل أو عدمه لا تدرس في الكتب، وإنما تتم تلقائياً وتحت إشراف المربية من خلال المواقف وعمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية .

مقترحات يمكن أن تفيد منها المربية:

على المربية أن تضع في اعتبارها أهمية التصورات الإجرائية التالية:

- العمل على خلق المناخ المواتي لنمو الذات وإيجاد ظروف مناسبة يستطيع كل طفل أن يشعر فيها بأهميته.
- إشراك الأطفال بالأنشطة المختلفة بفاعلية مثل اللعب والغناء والرسم .. وغيرها.
- إظهار النواحي الإيجابية لدى كل طفل والتأكيد عليها، وإفهامه بأن نواحي ضعفه يمكن التغلب عليها بفضل نواحي قوته.
- الاعتراف بالعمل الجيد الذي يقوم به الطفل دون تمييز بين طفل وآخر.
- توظيف أو استثمار الاستجابة الموضحة مع الأطفال (Clarifying Respons) أي أن تسلك المربية وكأنها مرآة للأطفال تهتم بما يسعدهم وتعبر عن تعاطفها معهم وتواسيهم فيما يحزنهم.(Ginott, 1965. P.14)

ـــ تربية الطفل على الحب والتأكيد والتعزيز الإيجابي، أما النقد والمعارضة فيجب أن يـلْق لاحقاً أي عندما يصبح الطفل على درجة من القوة والثقة التي تمكنه من تقبل النقد.

ـــ تقبل السلوك غير العادي (المشكل) انطلاقاً من أن النفوس المضطربة تجد ملاذهـــا في السلوك العدواني عندما تزداد الضغوط عليها وتحتدم.

ـــ إشعار الأطفال بأنهم جديرون بالثقة والاحترام.

ـــ إتاحة الفرصة للأطفال كي يعيشوا حياتهم بإيجابية لينشئوا أصحاء معافين.

وفيما يلي بعض التعبيرات الدالة على أن الفرد يتعلم ما يعيشه من خلال التنشئة الاجتماعية:

***الجوانب السلبية:** ـــ حين يعيش الانتقاد يتعلم الإدانة.

ـــ حين يعيش العدوان يتعلم المقاتلة.

ـــ حين يعيش الخوف يتعلم القلق.

ـــ حين يعيش الغيرة يتعلم الإحساس بالذنب.

***الجوانب الإيجابية:** ـــ حين يعيش الأمن يتعلم الثقة بنفسه وبمن حوله.

ـــ حين يعيش القبول يتعلم الرضى.

ـــ حين يعيش التقبل يتعلم الحب.

ـــ حين يعيش المساواة يتعلم العدالة.

ـــ حين يعيش الأمانة يتعلم احترام الحقيقة.

ـــ حين يعيش التسامح يتعلم الصبر والأناة.

ـــ حين يعيش الثناء يتعلم التقدير.

ـــ حين يعيش الصداقة يتعلم حب عالمه.(Khattab, 1984, 434) .

* كلمة أخيرة:

إن ارتقاء مفهوم الذات ومفهوم الآخر عمليتان لا تتمان دفعة واحدة، بـــل تتحققـــان خطوة خطوة وبالتدريج، وعندما تكون الفرصة والظروف مهيأة لذلك.

ولكي تنمو مشاعر الأطفال وأفكارهم، ولكي تتطور وترتقي، ينبغي أن تتاح لهم فرصـة المحاولة والتجديد، وأن يهيأ لهم المناخ المناسب الذي يستوعب الطفل، ويفتـح لـه ذراعيـه ويحتضنه، بدلاً من أن يصدّه ويقيده، وتستطيع الروضة أن تهيء الفرصة لمشاعر الأطفال كـي تنسجم وتتفاعل مع بعضها، حتى يمكن للفهم الحقيقي أن يأخذ مكانه ويسير في مجراه الطبيعي.

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أنه، كلما ارتقى الشخص في فهم ذاته وتقلبها، وفي فـهم الآخر وتقلبه كلما تمتنت العلاقة التعاونية والودية بينه وبين الآخر.

إن إقامة علاقة صحيحة متينة مع الآخر أمر على درجة كبيرة من الأهميـة، لأن بدايـة العلاقة بالآخر، هي البداية الصحيحة لتمتين العلاقة بالوطن والانتماء إليه، ومن ثم تمتين العلاقة بالعالم والإنسانية جمعاء.

إن المسؤولية الملقاة على عاتق المربين عموماً والمربية في الروضة على وجه الخصوص فيمـا يتعلق بالنمو السليم لفهم الذات وتقبلها، ومن ثم فهم الآخر وتقبله مسؤولية جد كبيرة، لكن لا داعي للخشية والخوف، لأن التأمل والتعمق في هذه المسألة يبين أن المربية لا تعمل لوحدهـا، بل هناك فريق عمل متكامل، يتألف من الأطفال أنفسهم، ومن الوالدين والأخـوة، ومـن مؤسسات المجتمع الرسمية والشعبية المختلفة.

وقد أجابت (ماريان أندرسون) عن السبب الذي من أجله نستخدم ضمير (نحن) بـدلاً من ضمير (أنا) بقولها: « ربما لأنه كلما طال العمر بالإنسان ازداد اقتناعاً بأنه ليس ثمة شـيء يمكن أن ينجزه بمفرده. (جيلهام، ١٩٦٤، ١٥).

إن حاجة الطفل، لا بل حاجة الإنسان صغيراً كان أم كبيراً لمعرفة الآخر وتقبله لا تقـل أهمية عن حاجته لمعرفة ذاته وتقبلها وتحقيقها، وعندما يتعلم الفرد أن يحل ضمير (نحن) محـل ضمير (أنا) في أقواله وأفعاله يكون قد أوشك على تحقيق ذاته.

هذا وتعد العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية، علاقة تأثير متبادل، ولكنها تتطلب في الوقت ذاته الفصل والتمايز وعدم التوحد، إن التأثير المتبادل لا يقتضي ذوبان أحدهما في الآخر، بل يتطلب التكامل والتوافق والانسجام والتعاون، والعطاء المتبادل، دون إهمال الشعور بالكينونة والتمايز والاستقلال والخصوصية.

ومما تقدم يتبين، أن فهم الذات والغوص في أعماقها ليس بالأمر الهيّن، ومهما حاول الباحث أو المربي أن يغوص في الأعماق فإنه سيجد مناطق مظلمة، أو ربما مغلقة لا يستطيع ولوجها والكشف عن مكنوناتها، وهنا يحضرني (طاغور) شاعر الهند وفيلسوفها العظيم إذ يقول: « في اتحاد أزلي حقيقي لا حدود له بين الماضي والحاضر، تتراءى لي الأنا كمعجزة تحضرني في كل مكان ».

المراجع المعتمدة

ـــ ايفوركون: (البحث عن الذات) ترجمة غسان نصر، دار معهد للنشر والتوزيع، ســــوريا، دمشق ١٩٩٢.

ـــ الأحمد، أمل: (اللعب لدى طفل الروضة) دراسة قيد النشر، لصالح الاتحاد النســـائي، دمشق، شعبة رياض الأطفال ١٩٩٨.

ـــ الأحمد، أمل:(المربية كمرشدة نفسية) دراسة قيد النشر، مجلة التربية، الدوحة، قطر ١٩٩٩.

ـــ جيروم، كاغان: (أطفالنا كيف نفهمهم) ترجمة عبد الكريم ناصيف دار الجليل، سوريا، ١٩٧٩.

ـــ بهادر، سعدية محمد علي:(في علم نفس النمو) دار البحوث العلمية،الكويت،ط٤، ١٩٨٦.

ـــ زهران، حامد عبد السلام: (علم النفس الاجتماعي) عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧.

ـــ زهران، حامد عبد السلام: (علم نفس النمو) عالـــم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠.

ـــ زهران، حامد عبد السلام: (التوجيه والإرشاد النفسي) القاهرة، ١٩٧٧.

ـــ عاقل، فاخر: (معجم العلوم النفسية) إنكليزي ـــ عربي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٨.

ـــ رزوق، أسعد: (موسوعة علم النفس) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧.

ـــ غاستون، ميالارية: (مدخل إلى التربية) ترجمة نسيم نصـــر، منشـــورات عويـــدات، بيروت، باريس ١٩٨٢.

ـــ جيلهام ل. هيلين: (مساعدة الطفل على تقبل ذاته وتقبل الآخرين) ترجمة محمد عبـــد السلام أحمد، القاهرة، نيويورك، ١٩٦٤.

ـــ خطاب، محمد:(دور المعلم المرشد في مفهوم الذات وتحقيق الذات) الأونروا،اليونسكو ١٩٨٦.

المراجع الأجنبية

- Ames, I.B: The development of the sense time in the young child. J. Gent Psychol, 1994, 168, PP. 97 – 125.
- Felker, D.W.Bulding Positive self – concepts Minneapolis burgess publishing co. 1974.
- Flavell . J. H.: The development psychology of Jeanpiaget. Princeton: Van No strand 1963.
- Maslow, A.H.: Motivation and personality. 2nd Edition. New York, Harper and Row Publishers. 1970.
- Ginott H.G: Between parent and child. New York Millan 1965.

Damascus University
Faculty of Education
Department of Psychology

The Psychological Approach of Child Culture

''An Analytical Study of Forming the Concept of the Ego and the Other by the Kindergarten Child and the Role of the Governess in that ''

Summary of the Study

The collapse and confusion of the ego may lead totally or partially to various psychological disturbances in personality. Hence came this study, and it was necessary to establish this concept well, work on discovering and understanding it early by the child.

This study aims at achieving many objectives, of which: helping the child to discover and to accept him/herself, defining the nature of the relationship between the concept of the ego and the concept of the other, and defining the role of the governess in the acceptance of the child for himself and the other.

Many paragraphs are involved in the content of this study, the most important of which are: definition of terms, the origin of the concept of the ego and its development in early childhood, the social nature of the self, the self concept attributes, its role in self-actualization and its position in the hierarchy of human needs.

This study also dealt with ways of establishing a positive concept of the self by the kindergarten child, and how to help him/her in accepting him/herself and the other. Starting from the fact that the establishment of a strong and sound relationship with the other is the outset of the sound relationship with the country and belonging to it, and then creating a strong and sound relationship with the world and humanity as a whole.

It was mentioned that the relationship between the ego and the other is a controversial one, their mutual interaction doesn't necessarily mean melting one of them in the other, but it requires integration, compatibility, harmony, and mutual donation, without neglecting the feeling of existence, differentiation, independence and privacy.

Dr. Amal Al – Ahmad

Assistant Professor at Damascus University, Faculty of Education, Department of Psychology.